يكفي ما مضى

عمرو بن الجموح

رضي الله عنه

أيام كثيرة مضت .. والفرصة تتاح لنا كل يوم فيما بقي من العمر

obeikandl.com

« أحقا ما تقول يا معاذ ؟».

هتف بها معاذ بن جبل وهو يكتم ضحكاته لصديقه معاذ بـن عمروالـذي قـال في حـزم وهـو يبتسم:

– نعم يا معاذ، أعتقد أنها طريقة فعالة لكي يدرك أبي قيمة الصنم الذي يضعه في المنزل..

سنضع صنمه في اختبار عملى للدفاع عن نفسه، يدفع أبي في نفـس الوقـت لأن يفكـر في قـدرة الإله الذي يعبده ويناجيه ويقدم له القرابين.

وانطلق الصديقان ينفذان الخطة..

كان الصديقان الشابان متحمسان للدعوة إلى الله في المدينة، بعد أن هداهما الله للإسلام..إلا أن المشكلة التي ظلت تؤرق معاذ بن عمرو –وهو من أصحاب بيعة العقبة الثانيـة– أبـوه.. عمـرو بـن الجموح.

وعمرو بن الجموح كان زعيما من زعماء المدينة، وسيدا من سادات بنـي سـلمة...وربـما كانـت زعامته هذه، هي التي وقفت في طريق دعوة ابنه معاذ له رغم محاولاته معه.

وفكر معاذ في طريقة تنجح في إقناع أبيه.. وجاءته الفكرة..وبدأ في تنفيذها بعد أن عرضها على صديقه معاذ بن جبل.

وفي المنزل..اقترب الاثنان من الصنم (مناف) الذي يتخذه أبوه إلها مقدسا ..ونظرا إليه نظـرة سخرية واستهزاء، وهما يحملانه من مكانه ليلقيا به في مكان قريب من المنزل تلقى فيه القمامة!

وفي الصباح يتجه عمرو بن الجموح أول ما يتجه إلى صنمه مناف، فيفاجأ بعدم وجوده..

ويثور عمرو ويصيح فيمن حوله.. ويجري بحثا هنا وهناك عن إلهه مناف.. وبعد عناء يجـده في حفرة مليئة بالقمامة، فيلتقطه وقد استشاط غضبا وهو يقول في غيظ:

ويلكم من عدا على آلهتنا الليلة.

وبسرعة.. يجري داخل المنزل فيغسله ويطهره، وربما طلب منه المغفرة على مـا ألم بـه دون ذنـب منه.

إلا أن الموقف نفسه يتكرر في اليوم التالي، ويزداد غضب عمرو وغيظه..

وفي المرة الثالثة، شعر عمر بالغيظ فعلا ، ولكن ليس ممن فعل بصنمه مناف ما فعل، ولكن من مناف نفسه، الذي يترك الناس تسخر منه بهذه الصورة الفجة..

فنظر عمرو إلى صنمه في حنق وهو يعلق سيفه في رقبته قائلا:

– إن كان فيك خير فدافع عن نفسك..

لقد بدأت الرسالة تصل إلى عمرو، وبدأت الخطة تقترب من النجاح.

ففى اليوم التالي .. جاء عمرو بن الجموح ليرى ما فعل صنمه، فوجده في نفس الحفرة، وزاد على ذلك أنه كان مربوطا في كلب ميت !

لم يتمالك عمرو بن الجموح نفسه وهو ينظر إلى صنمه مناف نظرة احتقار وامتهان..

وهنا.. كان العقل مستعدا لقبول أفكار جديدة.

وهنا.. كانت اللحظة مناسبة للتدخل، ليس من معاذ ابنه الذي ربما شعر أنه غير قادر على إقناعه بالإسلام، ولكن من بعض أشراف المدينة الذين سبقوا بالإسلام، والذين اتفق معهم معاذ على ذلك...

وأخذوا يديرون مع عمرو حوار العقل والمنطق، ويضعون أمام عينيه مقارنة حية بين ما يعبد من صنم ضعيف مسكين لا يستطيع دفع الأذى عن نفسه، وبين عبادة الإله الواحد القهار خالق السموات والأرض القادر على كل شيء، والإيمان برسوله الصادق الأمين ﷺ.

بين صنمه الأبكم الذي لا ينطق ولن ينطق بخير أو بشر، وبين دعوة النبي محمد ﷺ التي تدعو إلى التوحيد والأخلاق والعفة والحب والإخاء.

وشيئا فشيئا.. بدأت الغشاوة تزول، وبدأ العقل ينفتح على الحق الواضح الجلي، وبدأ القلب يستقبل نور الإيمان.

ولم يكن يبقى إلا أن يذهب عمرو بن الجموح إلى منزله ليغتسل ثم يتطيب ويلبس أجمل الثياب، ثم يذهب إلى رسول الله ﷺ ليسلم بين يديه.

لقد نجحت محاولة معاذ، وأسلم أبوه عمرو بن الجموح..

ربما يكون بين الإسلام وبين الكفر شعرة.. ولكنها قد تغلق العقل وتصد القلب عن يقين الحق وعن نور الشمس.

وأفاق عمرو بن الجموح ليجد نفسه قد تأخر في الإسلام عن أبنائه الأربعة.

فإذا به يعقد النية والعزم على أن يسبقهم كما سبقوه..

ومهما يكن الثمن.

« لابد أن أخرج للجهاد في بدر ».

صاح بها عمرو بن الجموح في إصرار وعزم لأولاده الأربعة، الذين أخذوا يقنعونه في محاولات مستميتة لإثنائه عن الخروج في بدر..

كانت ظروف عمرو بن الجموح الجسدية تمنعه حتما من القتال ، فلقد كانت ساقه عرجاء بصورة تمنعه من سرعة الحركة وليونة الالتفاف اللذان يحتاجهما كل مقاتل أثناء المعركة..

إلا أنه ورغم الجدال الطويل بينه وبين أبنائه، كان مصرا إصرارا عجيبا على القتال..

ولم يجد أبناؤه بدا من أن يذهبوا إلى النبي ﷺ ليتوسلوا إليه أن يقنع أباهم بعدم الخروج، أو أمره بذلك إذا استدعى الأمر.

وبالفعل.. أخبر النبي ﷺ عمرا بذلك، وأنبأه أن الإسلام يعفيه تماما من فريضة الجهاد نظرا لظروفه الصحية.

ولم يجد عمرو بن الجموح بعد كلام رسول الله ﷺ بدا من الاستسلام للوضع، وأخذ ينظر إلى أولاده نظرة حزن وهو يراهم يستعدون للخروج إلى القتال في بدر..

إلا أن الفكرة رغم ذلك، كانت رحاها تدور في رأسه.

إنه مصر على أن يسبق أبناءه ..

ولن يسمح أن تكون عرجته عقبة في طريق الجنة..

أبدا.

* * *

بعد عام واحد.. جاءت غزوة أحد..

وكان عمرو بن الجموح هوالذي ذهب هذه المرة إلى رسول الله ﷺ، وكله إصرار وعزم على الجهاد في هذه المرة، وأخذ يسأل الرسول ﷺ في توسل شديد وهو يقول:

يا رسول الله ، إن بنى يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك إلى الجهاد.. ووالله إني لأرجو أن أخطو بعرجتي هذه في الجنة.

ورغم صدق الكلمات وتأثيرها، ورغم رغبة عمرو الجامحة في الجهاد في سبيل الله..

لم يوافق الرسول ﷺ..

إلا أن عمرا أصر وازداد توسلا وإلحاحا عجيبا، لم يستطع الرسول ﷺ بعدها أن يرفض..

فوافق أخيرا على خروجه للقتال في أحد.

ولم يجد أولاده حيلة معه بعد أن نجح في اقتناص الموافقة من رسول الله ﷺ.

وبفرح عظيم كالأطفال.. استل عمرو بن الجموح سيفه وانطلق في سرور وهو يرفع يديه إلى السماء قائلا:

- اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي.

هذا هوالحلم الذي كان يريد أن يحققه عمرو لنفسه منذ عام..

الشهادة..

وهاهوالحلم يقترب.. ويقترب..

وبدأت المعركة..

كان القتال حاميا وضاريا ..وكانت النفوس مشتاقة إلى ربها تريد لقاءه..

ووسط معمعة الحرب الطاحنة، كان عمرو بن الجموح يضرب بسيفه يمينا ويسارا بكل قوته، لا يبحث عن نصر..إنما كان ما يبحث عنه شيء آخر..

الشهادة..

كانت الشهادة كلما تأخرت، زاد التحامه بالمشركين وزادت قوته وثورته..

وظل كذلك..إلى أن جاء الموعد..

وبضربة سيف تلقاها.. ابتسم عمرو بن الجموح وهو ينظر إلى السماء، يريد أن يحلق فيها لتطأ عرجته الجنة.

وبعد المعركة.. وقف الرسول ﷺ يتابع عملية دفن الشهداء..

وأمر الرسول ﷺ بدفنه مع صهره وخليله عبد الله بن عمرو بن حرام..

فلقد كان عمرو بن الجموح زوج أخت عبد الله بن عمرو « فاطمة ».

حيث قال:

« انظروا، فاجعلوا عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر واحد، فإنهما كانا في الدنيا متحابين متصافيين ».

وسكن الحبيبان في قبرهما تحت أرض البطولة والشهادة.

ومرت السنوات..وفي عهد معاوية بن أبي سفيان، نزل سيل شديد غطى أرض القبور، فسارع المسلمون إلى نقل رفات الشهداء، فإذا بمن يحملها يفاجأ بالجثمانين الطاهرين كما هما نائمين في هدوء ووداعة تعلوهما ابتسامة الملائكة، أجسامهما لينة لم تأكل الأرض منهما شيئا..

لقد كان عمرو بن الجموح جوادا كريما في حياته..

وكان آخر ما جاد به نفسه.. شهادة في سبيل الله..

ولقد قبل الله شهادته..

وقبل – كما أراد – أن تطأ عرجته الجنة.

* * *

دروس وتحليل

١ - الدعوة إلى الله فن يحتاج إلى ذكاء وهدوء وصبر، خصوصا في محيط الأسرة (معاذ بن عمرو ومعاذ بن جبل يضعان خطة لإسلام عمرو بن الجموح).

يخطئ الكثيرون من الملتزمين في اتخاذ أسلوب متشدد ومتسرع في دعوة الأهل، سواء كان أخا أو أختا أو أبا أو أما، مما يسبب مشاكل كبيرة داخل الأسرة، وتزداد درجة النقد للشخص الملتزم من الأسرة، وتسبب نفورا عاما من المتدينين، وربما من التدين نفسه، ويرجع السبب في ذلك إلى ضيق الملتزم من كثرة ما يراه من أخطاء في أسرته من وجهة نظره، مما يدفعه إلى التسرع والعنف أحيانا في النصيحة، وهو ما يؤدي إلى حدوث فشل مؤكد في دعوة أسرته، يكون أحد أسبابها معرفة الأسرة السابقة بأخطاء الشخص الملتزم.

إن الدعوة إلى الله عموما وفي محيط الأسرة خصوصا، تحتاج إلى هدوء ورفق وذكاء ومحبة، وبدون هذا يكون مصير الدعوة الفشل رغم النوايا الطيبة.

٢ - الرغبة الحقيقية والإصرار على تحقيق الهدف يجعل صاحبها يتحدى أوجه القصور لديه وضعف الإمكانات (عمرو بن الجموح يطلب بإلحاح الخروج للقتال رغم إصابة ساقه بالعرج).

الحماسة والرغبة الصادقة في تحقيق الهدف أيا كان، يجعل صاحب الهدف يبتكر الطرق ويكتشف الحيل للتغلب على مشكلاته ونقص إمكاناته التى تعوقه عن العمل، وإذا ما تعرض للفشل يحاول مرة أخرى وبطريقة أخرى فإذا تقدم خطوة دفعه الأمل للتقدم خطوات وخطوات، ومن هنا يأتي النجاح حتى وإن كانت الإمكانات قليلة وضعيفة، والشخصية الكسولة هى الشخصية التى تيأس مع أول مشكلة تواجهها، ويلتهمها الإحباط مع أول عثرة، حتى ولو توفرت لها الإمكانات.. ومن هنا يأتي الفشل.

* * *